بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة: 17 محرم 1432 هجري إعداد: خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق: 2010/12/24م www.al-msjd-alaqsa.com

دخول آدم وحواء الجنة وخروجهما منها – 4

– الكِبْر –

يصف لنا عز وجل الحوار الدائر بينه وبين إبليس سائلا إياه عن سبب رفضه السجود لآدم في عدة مواقع من القرآن الكريم، يقول عز وجل ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ﴿الحجر15: 32–33﴾، ويقول عز وجل ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَم كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ﴿ص38: 75–76﴾، ويقول عز وجل ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ﴿الاعراف7: 12﴾. ويقول عز وجل ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَن خَلَقْتَ طِيناً * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ ﴿الإسراء17: 61–62﴾.

إبليس تكبر ولم يرجع عن كِبره

خلاصة الحوار الدائر بينه عز وجل وبين إبليس ﴿الشيطان﴾ يجعلنا نخلص لسبب رفض إبليس السجود لآدم ونلخصها في ثلاثة كلمات، ألا وهي ﴿الخيرية، الإستكبار،

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9
ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول: 972523623683+، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

العلو﴾، وهذه الكلمات تصب كلها في صفة ﴿الكِبْر﴾ وهو شعور بالأفضية، أي أن إبليس شعر أنه أفضل من آدم وأن مرتبته أعلى من مرتبة آدم، وتصرف بناءاً على هذا الشعور، وهذا أمر خطير، ذلك أن الكبرياء هي لله وحده عز وجل ولا يجوز لأي من عباده أن ينازعه فيها، ففي الحديث الصحيح ﴿الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهن ألقيته في جهنم﴾، نعم الكِبر خطير، وعلينا الحذر منه، لذلك كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر﴾. وربما يتساءل أحدنا هنا، إن كان الكِبْر بهذه الخطورة، فلِمَ خلقه الله في نفوسنا ثم منعنا من إستخدامه؟ وأقول أن الشعور بالأفضلية هو أمر فطري في نفوس مخلوقات الله من أنس وجن وحتى ملائكة ولكن لا يجب أن يصل لمرحة إظهاره أو التصرف بناءاً عليه، فتكون النتيجة ﴿معصية الله﴾ كما فعل إبليس، فقد شعر أنه أفضل من أدم فرفض السجود لآدم وهو أمر الله، إنما مقصد هذا الشعور هو أن تسعى بنفسك لما هو أفضل، فتحسن عبادتك أمام الله، فإن أنت شعرت أن فلان من الناس هو أفضل منك، عليك ان تعبد الله أكثر لتصبح افضل عند الله، فالمطلوب هو التنافس للوصول للأفضل، فإن وصلنا فبفضل الله، وإن لم نصل فبتقدير الله، وفي الحالتين، لا نسخر ولا نستهزئ ولا نهمز ولا نلمز ولا نحسد ولا نسب ولا نلعن ولا نسخط ولا نؤذي أنفسنا أو غيرنا.

الملائكة إعتقدت أنها أفضل من الإنسان ولكنها عادت عن هذا الإعتقاد

وهذا الشعور بالأفضلية موجود في الملائكة فقد كانت الملائكة تطمح بأن تكون كفتها افضل من كفة آدم عند الله، يقول عز وجل ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة2: 30﴾. ومع أن هذا الطموح كان مكتوماً في داخلها ولم يظهر على لسانها ولا على أفعالها وتصرفاتها، إلا أنه كان معلوم لله عز وجل، لذلك قام سبحانه وتعالى بوضع الملائكة أمام إختبار بسيط تعلمت منه أنها ليست أفضل من الإنسان، يقول عز وجل ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة2: 31﴾، وبمجرد أن أدركت هذه الحقيقة عادت مباشرة وأعترفت بخطئها وكفت عن هذا الشعور، يقول عز وجل ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَئَادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِم فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِم قَالَ أَلَم أَقُل لَكُم إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿البقرة2: 33﴾، لاحظ كلمة ﴿تكتمون﴾. فإذا كان الشعور موجود ولكنه مكتوم ولا يظهر على الجوارح ولا على الأفعال فهو ليس بإستكبار، لذلك إعتبر اللهُ الملائكةَ ﴿غير مستكبرة﴾، يقول عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿الأعراف7: 206﴾.

إبليس إستخدام إسلوب المقارنة في وسواسه لآدم وحواء

لاحظ كيف وسوس إبليس لآدم وحواء، يقول عز وجل ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿الأعراف7: 20﴾، لاحظ الكلمات ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾، هذه الكلمات مختارة بعناية من إبليس الذي شرب من كأس الغيرة المُرة عندما قارن نفسه مع آدم وإعتقد أنه أفضل منه ثم عصى الله بعدها، فقد اراد إبليس من آدم وحواء أن يعتقدا أن الملائكة افضل منهما، وهذا الرسالة الدفينة في كلماته، ثم اراد منهما

ان يبدءا بالمقارنة بين نفسيهما ونفس الملائكة، ثم وضع لهما الحل، إن اردتما أن تكونا مثل الملائكة أو أفضل، عليكما أن تاكلا من الشجرة، حتى أنه اقسم لهما بصحة كلامه، يقول عز وجل ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿الأعراف7: 21﴾، ولم يكن أيٌ من آدم أو حواء قد إختبرا الكذب ولا عرفاه، فكيف عندما يكون مقروناً بقسمٍ بذات الله، وهكذا نجح إبليس في جعلهما يأكلان من الشجرة.

الكِبْر عادةً ما يكون أول طريق المعصية

إنظر لمعصية إبليس، وإنظر لخطأ الملائكة الذي قدمناه، وإنظر لكيفية وسواس الشيطان لآدم وحواء حتى يخرجهما من الجنة، كلها كانت نتيجة المقارنة، وفي حياتنا الدنيا فإن المعاصي على الإطلاق تبدأ بالمقارنة، أنا أريد أن اكون مثل فلان، أو أفضل من فلان، أو جاريتي إشترت كذا، واريد أن أشتري مثلها أو ما هو أفضل منها، اخي زوج إبنه وفعل كذا واريد ان افعل ما هو أفضل مما فعل، فلان معه مبلغ من المال، وأنا أريد أن يكون عندي مثله أو أكثر منه، فلان عنده سيارة موديل كذا، وأنا اريد ان يكون عندي سيارة مثلها أو افضل منها، فلان عنده بيت كذا، وانا أريد ان يكون عندي بيت كذا، ثم ما الثمن، كيف يتصرف هؤلاء للحصول على مرادهم؟ سأترك الإجابة لك.

الكبر قد يتحول لعداوة شديدة

نعم، يبدء الموضوع بكِبّر ثم يتحول إلى عداوة وقد تكون هذه العداوة مريرة، إنظر لعداوة إبليس لآدم وذريته، ذكر لنا الله سبحانه هذا التفصيل في قوله عز وجل في سورة الإسراء 17 – آية 62 ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ويقول عز وجل في سورة النساء 4 – آية 119 ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾. والآيات في هذا كثيرة جدا، فالعداوة حاصلة وستستمر ببقاء الدنيا لأن الشيطان يعتقد أن سبب خروجه من الجنة وطرده من رحمة الله انما كانت بسبب آدم وليس باستكباره واستعلاءه. فلذلك سوف يستمر بالانتقام من ذرية آدم بعد أن كان هو سببا في خروج أبوينا من الجنة. ولو نظرنا نظرة متأمل لوجدنا أن الله ابتلى آدم بالشيطان وابتلى الشيطان بآدم حتى تملأ الجنة بعباد الله المتقين وتملأ النار بالكفرة والمشركين والمنافقين والعاصين. فلله في خلقه شؤون، وله الحكمة البالغة.

زيادة النعم قد يكون سبب في بطرها

وإن سألنا، هل يزداد الكِبْر في نفس المخلوق كلما إزدادت نعم الله عليه؟! فالجواب ﴿عادةً وغالباً﴾ نعم. يقول عز وجل ﴿وَلَو بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿الشورى42: 27﴾.

تذكر دائماً أن الخير من الله والشر من افعال العباد

علينا دائماً أن نتذكر أننا نحن من يقرر المعصية، ولا يجبرنا عليها عز وجل، وأن الله أعطانا إمكانية كبح جماح أنفسنا ورفض الوسواس سواءاً أكان من هوى النفس أم من نزغ الشيطان، فآدم هو الذي إختار الأكل من الشجرة، وإبليس هو الذي إختار عدم السجود لآدم، وكل واحد منا يختار بنفسه أن يعصي الله عز وجل، فالخير من الله والسوء من أنفسنا.

اللهم إرحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، والطف بنا بما جرت به المقادر، إنك على كل شيء قدير، أكتفي بهذا المقدار وأنا على إستعداد للإجابة عن أي تساؤلات تخطر ببالكم، سائلا المولى عز وجل السداد والمقاربة، فما كان صواب فمن الله وما كان خطئ فمن نفسي ومن الشيطان، والله سبحانه وتعالى أعلم

www.al-msjd-alaqsa.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9 ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول: 972523623683+، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com www.a-q-s-a.com	Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9 P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683 E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com